

أنماط الغضب ودواعيه في القرآن



الغضب هو استجابة انفعالية سلبية إزاء التعرض لمثير انفعالي تتحكّم في سلوك الكائن الحيّ، وتدلّ على عدم تكامل شخصيته.

ويقترن الغضب بتوتر انفعالي حاد يرافقه تسارع في نبضات القلب وتغيّر لون الوجه نتيجة التعرّض لموقف انفعالي، ويصدر عنه سلوك دفاعي. وقد تطرّق القرآن الكريم إلى نمطين من الغضب أحدهما مختص بالخالق والثاني مختص بالمخلوقين. أمّا غضب المخلوقين فقد مدح القرآن طائفة من المؤمنين بأنهم يتحكّمون بانفعالاتهم عند سّورة الغضب، ويقابلون الإساءة بالإحسان، فيغفرون زلّة الآخرين ويتجاوزون عن إساءة مَنْ يُسيء إليهم، وليس ذلك فحسب، بل يحنون إليه ويكرمونه ويغفرون له إساءته، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الطائفة في قوله تعالى: (وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ) (الشورى/ 37)، وفيها نكاتٌ عدّة نوجزها بما يأتي:

- جاء استعمال البنية الإسمية في قوله: (هُم يَغْفِرُونَ) لتثبيت المعنى المقصود وترسيخه في الذهن.

- استعمال أداة الشرط (إذا) لما هو متحقق الوقوع في معرض تأكيد حصول هذا الأمر وتحقيق وقوعه لحنّ المتلقي للاتصاف بهذه الصفة المحمودة لتحقيق الاستجابة المطلوبة.

- تقديم المسند إليه في قوله: (هُم يَغْفِرُونَ) لتقوية الحكم وتأكيد لكونه واقعاً في معرض الاستغراب، فضلاً عن إفادة التخصيص لإثبات تلك الفضيلة (الصفح في حال الغضب) لهم وحدهم ونفيها عن سواهم في معرض المدح لهم والثناء عليهم.

- استعمال الصيغة المضارعة في قوله: (يَغْفِرُونَ) للدلالة على الزمنية المفتوحة، أو كما يقول البلاغيون لاستمرار الفعل وقتاً بعد وقت، لكون هذا السلوك يعكس منهجاً ثابتاً وسنة متبّعة في

التعامل مع الآخرين لاستقطابهم وهدايتهم وبخاصة للمخالفين لهم في الرأي أو المذهب أو المعتقد، أي هكذا هو دأبهم في كل الأزمان والعصور وأياً كانت الظروف والأحوال.

- جاء التضاد بين الغضب والعفو أو (المغفرة) لإحداث خرق في البنية لكونه خارجاً عن المألوف، ففي العادة أن الإنسان يعفو ندماً تستقرُّ نفسه ويذهب عنه الغضب، ومصدق هذا قوله تعالى: (وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ) (الأعراف/ 154).. أمّا أن يعفو لحظة الشروع بالغضب واشتداد سورتته فهذا تجاوز للمألوف وانحراف في بنية الخطاب:

- إذا ما غضبوا...

- هم ينتقمون - هم يبطشون - هم يظلمون وإذا ما غضبوا.. هم يغفرون!!

- إن امتناع الربط الوظيفي بين الشرط والجزاء بفعل تقنية التضاد بين (غضبوا) و(يغفرون) ساعد على تحقيق سرعة في الأداء التعبيري لنكتة دلالية مفادها أن المخصوص بالخطاب على قدر كبير من الاتزان النفسي والاستعداد الفطري لترويض النفس وكبح جماح الغضب، وأن المثيرات الانفعالية مهما بلغت قوتها فهي لا تحرك منهم ساكناً لكونهم بأتم استعداد وجاهزية عالية لمقابلة الإحسان بالإساءة أو الغضب بالعفو والمغفرة، أي إن تطلّحهم لرضوان الله والظفر بنعيمه الأبدى يشغلهم عن لتفكير في أمور الدنيا أو التأثير بأحوالها، فكل ما فيها - في نظرهم - شيء لا قيمة له بإزاء ما عند الله من النعيم والرضوان ولذلك فهم ليسوا بحاجة إلى فسحة زمنية - إذا ما تعرّضوا لمثير ما - لتهدأ نفوسهم ويسكت عنهم الغضب، وبتعبير آخر: "إن الإرادة القوية لهؤلاء قد نابت مناب الفاء الرابطة لتقييد الجزاء بالشرط".

وأمّا غضب الله عز وجلّ أو إنكاره على من عصاه، فهو عقوبة صارمة أعدها الله لفئة من الناس ممن ابتعدوا عن ساحة الله وتجاوزوا حدوده واستخفّوا بأوامره ونواهيه وتكفّروا للمنهج الذي حدّده الشارع المقدّس لأجل التعبّد لله وتطبيق أحكامه.

ولغضب الله في القرآن دواع عدّة، هي:

- الارتداد إلى الشّرك: ورد في قوله: (إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ) (الأعراف/ 152).

- الاعتداد بالكفر: ورد في قوله: (وَلَا يَكْفُرُ بِاللَّهِ بِالْكُفْرِ صَدْرًا وَعَلَايِهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ) (النحل/ 106).

- سوء الظن بالله: ورد في قوله: (الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنًّا سَوْءًا وَعَلَايِهِمْ دَائِرَةٌ سَوْءٌ وَغَضَبٌ لِّإِثْمِهِمْ) (الفتح/ 6).

- مجاوزة الحد: ورد في قوله: (وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْنَكُمْ غَضَبِي) (طه/ 81).

- تعمّد قتل المؤمن: ورد في قوله: (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهِ) (النساء/ 93).

- الفرار في الحرب: ورد في قوله: (وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّسًا وَمَا لِيَقْتَالَ أَوْ مُتَحَرِّسًا إِلَّا لِي فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ) (الأنفال/ 16).

- نقض العهد: ورد في قوله: (أَفَطَّالٍ عَلَيَكُمُْ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيَكُمُْ غَضَبُ مِنْ رَبِّكُمُْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي) (طه / 86).

- شهادة الزور: ورد في قوله: (وَالْخَامِسَةَ أَنْ غَضِبَ إِيَّاهَا عَلَيَّهَا إِنْ كَانَ مِنْ الصَّادِقِينَ) (النور / 9).

وقد اقترن غضب إِيَّاهَا في القرآن بسبعة أنماط من العقاب، هي:

- الهلاك: ورد في قوله: (وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيَّهِ غَضَبِي فَقَدِ هَوَى) (طه / 81).

- الرجس: ورد في قوله: (قَدْ وَقَعَ عَلَيَّكُمُْ مِنْ رَبِّكُمُْ رَجْسٌ وَغَضَبٌ) (الأعراف / 71).

- اللعن: ورد في قوله: (عَلَيَّهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضَبَ إِيَّاهُمْ) (الفتح / 6).

- المسخ: ورد في قوله: (مَنْ لَعَنَهُ إِيَّاهُ وَغَضِبَ عَلَيَّهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ) (المائدة / 60).

- الذلُّ والهوان: ورد في قوله: (وَضُرِبَتْ عَلَيَّهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبِ مِنْ إِيَّاهَا) (البقرة / 61).

- العذاب الشديد: ورد في قوله: (وَعَلَيَّهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ) (الشورى / 16).

- الخلود في جهنم: ورد في قوله: (فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ إِيَّاهُ) (النساء / 93).

المصدر: مجلة يابيع، العدد 59 لسنة 2014م